

{ العلاقات العراقية – الايرانية بعد عام 2003 }

أ.م.د منى حسين عبيد(*)
muna_2205@yahoo.com

الملخص:

حدثت نقلة نوعية في العلاقات العراقية – الايرانية بعد عام 2003 ، فقد أصبحت ايران تشكل فاعلا رئيسا في تفاعلات الساحة العراقية وعلى مختلف الاصعدة، بل مارست دوراً مؤثراً في العراق ورمت بثقلها للمحافظة على هذا الدور وتعزيزه باستمرار من خلال اقامة علاقات وثيقة مع النخب السياسية التي جاءت للحكم بعد عام 2003 سواء من خلال توثيق علاقاتها بالقوى السياسية المؤثرة في الساحة العراقية أو من خلال الاحزاب التي تولت الحكم في العراق أو عن طريق المرجعيات الدينية فضلا عن الارتقاء بعلاقاتها من الناحية الاقتصادية حتى أصبحت ايران أهم شريك تجاري للعراق. وفي الواقع، يمكن القول ان سقوط النظام السابق جعل من ايران اللاعب الاقليمي البارز في المنطقة كما جعل منها القوة الاستراتيجية المنافسة للولايات المتحدة الامريكية فقد أتاححت الاحداث في العراق بعد العام 2003 لايران ان تكون القوة أو الدولة التي يحسب لها الف حساب ولا سيما من قبل دول الخليج العربي.

(*)مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية/جامعة بغداد.

مقدمة

أُتسمت العلاقات العراقية - الإيرانية بحالة من التوتر وعدم الاستقرار السياسي بسبب الاشكاليات التي كانت تشكل عائقاً امام تحسن تلك العلاقات مما أدخل البلدان في دوامة من المنافسات اذ لم تكن العلاقات بين البلدين جيدة سواء في العهد الملكي أو في العهد الجمهوري , فكثير ماكان يدخل البلدين في اشكاليات بسبب الصراع الدائر حول الحدود ،ولاسيما تلك المتعلقة بمياه شط العرب التي كانت من بين الاسباب المباشرة لتوتر العلاقات بينهما . كما بلغت تلك العلاقات درجة من التعقيد ،ولاسيما على الصعيدين السياسي والاقتصادي خلال حقبة الثمانينيات اذ خاضت كل من ايران والعراق حرباً مريعة استمرت ثمانية اعوام تسببت في دمار الدولتين بسبب انفاق مئات المليارات من الدولارات مما انعكس ذلك سلباً على الوضع الاقتصادي الذي لم يتعافى منه اي من البلدين .

استمرت العلاقات متوترة حتى حقبة التسعينيات ولم يطرأعليها اي تحسن الا انه بعد عام 2003 حدثت نقلة نوعية في علاقة البلدين ، وأخذت ايران تشكل فاعلاً رئيساً في تفاعلات الساحة العراقية وعلى مختلف الاصعدة، بل مارست دوراً مؤثراً في العراق ورمت بثقلها للمحافظة على هذا الدور وتعزيزه باستمرار من خلال اقامة علاقات وثيقة مع النخب السياسية التي جاءت للحكم بعد عام 2003 سواء من خلال توثيق علاقتها بالقوى السياسية المؤثرة في الساحة العراقية أو من خلال الاحزاب التي تولت الحكم في العراق أو عن طريق المرجعيات الدينية. فضلاً عن الارتقاء بعلاقاتها من الناحية الاقتصادية حتى أصبحت ايران أهم شريك تجاري للعراق.

وانطلاقاً من أهمية العلاقات التي ربطت البلدين وعلى مدار عقود طويلة فقد ركزت الدراسة على طبيعة تلك العلاقات والمراحل التي مرت بها سواء كانت سلباً ام ايجاباً وما شهدته من تحولات وعلى كافة الأصعدة ولاسيما بعد العام 2003.

ولتوضيح تلك العلاقات فقد أعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي من أجل وصف تلك العلاقات فضلاً عن المنهج المقارن لمقارنة العلاقة بين البلدين وفي مختلف الحقب السياسية التي تعاقبت على حكم البلدين .

المبحث الاول:-العلاقات العراقية - الايرانية قبل عام 2003

اولا - البعد التاريخي للعلاقات العراقية - الايرانية

شهدت العلاقات العراقية - الايرانية حالة من عدم الاستقرار بسبب مشاكل الحدود التي تمتد لمرحلة زمنية طويلة فقد كانت مسألة شط العرب وتثبيت الحدود بين العراق وايران من بين الاسباب المباشرة لتوتر العلاقات بين البلدين⁽¹⁾، فشط العرب له أهمية استراتيجية سواء ايام الدولة العثمانية أو اثناء السيطرة البريطانية والمنافسة الاوربية اذ عقدت عدة معاهدات لتسوية النزاع الحدودي على شط العرب ومنها معاهدة ارضروم عام 1847 بين الدولة الفارسية والدولة العثمانية وقد نصت هذه المعاهدة على ان الحكومة العثمانية تتنازل عن مدينة الحمرة ميناءها ومرساها على الضفة اليسرى لشط العرب للحكومة الفارسية ،اي ان مجرى شط العرب يخضع برمته للحكومة العثمانية وان الحدود العثمانية تسير مع الضفة الشرقية للنهر وفي اتفاقية الاستانة التي عقدت عام 1913 بين الحكومة الفارسية والحكومة العثمانية وبريطانيا وروسيا تم الاتفاق على ان مجرى شط العرب وجميع الجزر الموجودة فيه تحت السيادة العثمانية وبانتهاء السيطرة العثمانية على العراق،اعلنت ايران انها لم تعد ملزمة بتطبيق اتفاقياتها الحدودية مع الدولة العثمانية،ونتيجة لذلك تم عقد اتفاقية جديدة بين الحكومة العراقية والحكومة الايرانية في العام 1937، لتنظيم شؤون الملاحة في شط العرب ،وحقوق الطرفين فيه⁽²⁾.

وفي رأي أحد المؤرخين العراقيين ان تلك المعاهدة وان سمحت لايران بحق المرور البري في شط العرب فانها قد ضمنت اعترافها بان شط العرب يكون مياها عراقية.

هدأت قضية الحدود العراقية-الايرانية لأكثر من عقدين بعد ذلك ويمكن ان نعزى هذا الهدوء لأكثر من سبب⁽³⁾:

اولاً:- ما اتصل بطروف الحرب العالمية الثانية ،وحالة عدم الاستقرار التي عرفتھا ايران نتيجة لجزيات الحرب والتي وصلت الى حد تعرضھا لخلع الشاه رضا بملوي وتنصيب ابنه من قبل بريطانيا والسوفيت .

ثانياً:- ان تلك الفترة قد عرفت بدورها حالة من عدم الاستقرار في العراق من جراء وفاة الملك غازي في حادثة سيارة عام 1939 تلاھا خلال عام 1941 الحركة المعروفة باسم حركة رشيد عالي الكيلاني والتي أدت الى تدخل بريطانيا العسكري .

ثالثاً:- انه حتى بعد الحرب واستمراراً لعام 1952 بقيت الاوضاع متدهورة في ايران بسبب عملية تأمين النفط التي قام بها مصدق وهروب الشاه الى بغداد، ولم تنته الا بعد الاطاحة بحكومة مصدق⁽⁴⁾.

وتعد السنوات الثلاث بين عامي 1955 و1958 اكثر الفترات تحسناً في العلاقات بين ايران والعراق لاسيما بعد انضمام البلدين في العام 1955 الى الحلف الذي سمي باسم العاصمة العراقية ،بغداد وعرف بـ (حلف بغداد) .

الا ان العلاقات ساءت بين البلدين بعد ثورة 14 تموز 1958، بسبب مهاجمة عبد السلام عارف ايران في إحدى خطبه مما ترك ذلك انطبعا سيئاً، ثم تجددت الخلافات بين البلدين حين قامت مظاهرات معادية لايران في بغداد في 19 اب 1958⁽⁵⁾.

ومما زاد العلاقة سوءاً بين البلدين مطالبة ايران في السابع من ايار عام 1959 العراق بالاعتراف بميناء خسروباد كميناء بحري تابع لخر مشهر (الحمرة) اذ لم توافق الحكومة العراقية على ذلك مستندة الى ان حق العراق في السيطرة على مياه شط العرب أقرته الاتفاقيات واعترفت بميناءين فقط عبادان والحمرة. مما دفع بايران الى التراجع عن ذلك، وأبدت في اوائل العام 1960 رغبتها في حل النزاع سلمياً ،ويبدو ان الدول الغربية مارست ضغوطاً عليها خوفاً من قيام عبد الكريم قاسم باتخاذ اجراءات قاسية ضد المصالح الغربية في العراق⁽⁶⁾

خلافهما⁽⁷⁾.

1963 تحثها فيها الى ايقاف مشاريعها التي سببت ضرراً كبيراً للجانب العراقي⁽⁸⁾.

معاد للغرب⁽⁹⁾.

احتجاج رسمي لمجلس الأمن في 13 ايار عام 1969.

(11) لانعدام الثقة وحسن النية بين البلدين .

ذلك يعني بالنسبة الى العراق ان الاستمرار في السيطرة على الشط ذات أهمية استراتيجية

وبلغ التقاء المصالح عند رأس الخليج نقطة حرجية بحلول بداية السبعينيات من القرن العشرين حيث تزامنت المصالح القومية مع الاستثمارات الاقتصادية والسياسات الاقليمية وحرص الطرفان على اثارة الحساسيات التاريخية بينهما للبرهنة على مشروعية مطالبتها⁽¹²⁾.

كما سعت الجزائر للوساطة من أجل حل النزاع القائم بين البلدين ونجحت جهود الرئيس الجزائري (هواري بومدين) لعقد اتفاق بين العراق وايران اثناء انعقاد مؤتمر القمة للدول الاعضاء في منظمة الاقطار المصدرة للبترول (اوبك) في الجزائر في العام 1975. وقد نظمت الاتفاقية شؤون الملاحة في شط العرب فضلا عن تأكيد الحدود الخاصة بشط العرب بين العراق وايران ،وقد اصبح خط التالوك (انجرى العميق) هو الحد الفاصل بين الدولتين⁽¹⁴⁾.

يحتل العراق بوصفه أحد البلدان الخليجية بأهمية كبيرة في الادراك الايراني⁽¹⁵⁾ ويعود ذلك لسببين رئيسين :

34

برميل يومياً لمدة تزيد عن المائة عام، وهو بذلك يقترب من ايران التي تمتلك احتياطات نفطيه تقدر بنحو 158 مليار برميل، كما يعد العراق ثاني اكبر منتج للخام في منظمة اوبك بعد المملكة العربية السعودية، ومن هنا يدرك صانعوا القرار السياسي الايراني أهمية الورقة العراقية في التوازنات الاقليمية⁽¹⁶⁾.

ان هدف ايران الرئيس هو ايجاد تخطيط لاستراتيجيات متعددة وانفاذها جميعاً بالتوازي والتزامن وفق نمط من التفاعل والارتباط بينهما. من أجل تعزيز قدرات ايران كدولة اقليمية مسيطرة في النموذج العراقي، وما لا يقبل الشك ان ايران تدعم نفوذها في الخليج العربي من خلال توثيق علاقتها مع العراق وهذا يجعلها مرشحة بقوة لدور الشريك الفاعل في اي ترتيبات أمنية مستقبلية وهو ما تسعى اليه ايران على الرغم من المعارضة الاقليمية والدولية لهذا الدور⁽¹⁷⁾. كما تجمع ايران مصلحة مع العراق فهي تسعى لاستخدام الورقة العراقية كأداة مهمة في سياستها الخارجية لان صناع القرار السياسي الايراني يدركون الحاجة الفعلية لتعزيز دورهم في العراق بهدف تقويض المشروع الامريكي في المنطقة⁽¹⁸⁾.

كما تشكل الاهمية السياسية والأمنية للعراق جانباً مهماً في الادراك الايراني، ومردة بالتأكيد جملة محددات يمكن تبيان ابرزها وكالاتي⁽¹⁹⁾:-

- 1- يعد العراق ركناً مهماً في معادلة الأمن القومي العربي أو الأمن الخليجي وهو ليس تعبيراً لغويا بقدر ماهو حقيقة استراتيجية وعسكرية وسياسية.
- 2- باعتبار العراق بلداً مسلماً ويمثل لايران ثقلاً شيعياً خاصاً ومهماً لاقصى حد وأبعد مدى ممكن، كما ان وجود الاماكن المقدسة في العراق ولاسيما في محافظتي (النجف , كربلاء) أدت الى تأسيس علاقات تاريخية ودينية بينهما.
- 3- توقع ايران بان العراق يشترك معها في اتصاله بمتغير خارجي سلبي وهو الولايات المتحدة الامريكية جعلها تحاول جذب العراق نحوها من خلال اقناعه بانهم مشتركون في العداء نفسه للولايات المتحدة الامريكية⁽²⁰⁾.

یخرج بها (21).

لاستعادة نفوذها الامبراطوري⁽²²⁾.

الظروف مؤاتيه للأستيلاء على اراضي جديدة والحصول على امتيازات اضافية.

ثالثا :-العلاقات العراقية - الايرانية 1979- 1988

ترافقت مع شعارات (تصدير الثورة)⁽²³⁾.

ايران ليتسلم الخميني الحكم في ايران بعد ان تم (24):

1. تقديم العون المادي والمعنوي والاعلامي للايرانيين من قبل العراق وهذا ما اعترف به اللاجئين السياسيين الايرانيين في العراق ومنهم أتباع الامام الحميني الذين كانوا في العراق قبل 1979./2/11

2. ايواء اللاجئين السياسيين الايرانيين.

الا انه وبعد الثورة في 1980/3/24 صرح رئيس الجمهورية الايرانية بأن ايران لن تعيد الجزر الثلاث في الخليج العربي وان (أبو ظبي) وعمان ودي والكويت وقطر والسعودية ليست مستقلة بالنسبة لايران ، وفي 1980/4/18 صرحت الحكومة الايرانية بأنها تطالب بالبحرين اذا استمر العراق في المطالبة بالجزر الثلاث في الخليج العربي التي احتلتها ايران في العام 1971⁽²⁵⁾ .

وبحلول اواخر آب 1980 تحولت التوترات بين البلدين الى مناقشات ففي ايلول 1980، قصفت المدفعية الايرانية مدينتي خانقين ومندي العراقيتين وسرعان ماتحولت المواجهة الى حرب شاملة⁽²⁶⁾ .

ويمكن تلخيص الاسباب المباشرة التي أدت الى اندلاع الحرب العراقية - الايرانية بالآتي⁽²⁷⁾ :
السبب الاول : المشكلات المزمنة التي تترتب على الخلافات المتعلقة بالحدود العراقية - الايرانية وترجع جذور هذا الخلاف الى اكثر من اربعة قرون وقد ظلت الحدود تشكل قنبلة موقوتة قابلة للانفجار بفتيل اي خلاف سياسي بين العراق وايران.

السبب الثاني :- الايديولوجي فلم يكن تهديد النظام الثوري الاسلامي للنظام البعثي العلماني من ذلك النوع من التهديدات التي يمكن التعايش معها في اطار مباراة مختلطة الاهداف، لكنه كان هناك تهديداً وجودياً في اطار مباراة صفرية يترتب على بقاء احد طرفيها زوال الاخر فانه رغم خلاف النظامين الايراني والعراقي قبل الثورة ، الا انه بشكل عام لم تكن اطاحة النظام البعثي من اولويات نظام الشاه وفي المقابل تبني النظام الاسلامي بعد شهور من الثورة هدف اطاحة النظام البعثي. وظل عداءه يتمثل بدعم الحركات الشيعية المعارضة (حزب الدعوة ، ثم المجلس الاعلى للثورة الاسلامية).

السبب الثالث :- فهو المتصل بطموح العراق الى لعب دور اقليمي اكبر بالاستفادة من ظروف عزل مصر عن محيطها العربي بعد توقيعها اتفاقات كامب ديفيد وقد عبر العراق عن هذا الطموح بسلسله من المواقف المسبقة المؤيدة للحقوق العربية (المطالبة باستعادة الجزر الثلاث , واقليم عربستان , وتحرير فلسطين) واخرى معبرة عن التوافق مع الاتجاه العام حيال بعض القضايا الدولية موضع الاهتمام (ادانة غزو افغانستان) رغم العلاقات العراقية السوفيتية الوطيدة⁽²⁸⁾ وكان لتصعيد الحرب اثره في علاقة البلدين اذ اقدم على رفضه لاتفاقية الجزائر واعلن بطلانها في 17 ايلول 1980 ،ليعد ذلك الالغاء المدخل الاكثر اثارة في العلاقات العراقية - الايرانية⁽²⁹⁾.

وكان ردت فعل ايران ان قامت بقصف المناطق القريبة من شط العرب ، كما قام العراق في المقابل باحتلال عدد من المدن الايرانية ومنها قصر شيرين ومهران وموسيان ومدينة مشهد الجنوبية وكان هدف النظام السابق من ذلك ابحار ايران بالتفوق العسكري للجيش العراقي، وارغامها على قبول شروطه الخاصة بوقف التدخل الايراني في الشؤون الداخلية للعراق، وقبول المطالب العراقية الخاصة بالسيطرة على شط العرب، بيد ان ايران رفضت ذلك⁽³⁰⁾. واخذت الحرب بالتصعيد عام 1982 قدم على اثرها العراق مبادرتين: الاولى في 1982/6/10 بواسطة مجلس قيادة الثورة الذي طلب سحب القوات الى ما وراء الحدود الايرانية، لكن الخميني رد المبادرة واضعا شروط تغيير النظام العراقي اساسا لوقف القتال. والثانية في 20 من الشهر نفسه عندما كرر الرئيس العراقي السابق العرض ونال الرد ذاته⁽³¹⁾.

وفي العام 1986 وبعد ان تمكنت ايران^(*) وبعملية اختراق برمائية ناجحة لشبه جزيرة الفاو العراقية، في اتخاذ قرار بتمديد الحرب، لكن بدلا من ان توظف ايران ورقة الفاو لتضغط على العراق⁽³²⁾. أخفقت ايران في الوصول الى أهدافها التي كانت قد أعلنت عنها في السنوات التي دعتها ب(سنوات الحسم)، وقد تمكن العراق في سلسلة هجمات متعاقبة ومتوالية بتحرير

الفاو⁽³³⁾. وكانت خسارتها في جزيرة الفاو أحد أهم اسباب قبولها وقف اطلاق النار في 8/اب/1988⁽³⁴⁾.

ومن الجدير بالذكر ان الحرب العراقية - الايرانية قد اثرت في البرنامج النووي لكلا البلدين فبالنسبة لايران خلفت هذه الحرب مناخ غير مؤات لاستكمال المشروعات النووية الايرانية، ولا سيما مشروع محطة بوشهر للطاقة النووية. والثاني، يتعلق بعمليات القصف المتبادل التي قام بها الجانبان الايراني والعراقي للمنشآت النووية التي يمتلكها الطرفان⁽³⁵⁾، والتي اثرت هي الاخرى على كلا البلدين.

رابعا: - العلاقات العراقية - الايرانية 1990 - 2000

شهدت العلاقات العراقية - الايرانية نوعا من عدم الاستقرار خلال حقبة التسعينيات فعندما دخل العراق الكويت وقفت ايران موقفا حازما من دخول العراق الكويت وهذا مايمكن ملاحظته من خلال البيان الذي صدر عن المجلس الاعلى للأمن القومي الايراني، والذي تضمن رفض الدخول العراقي للكويت والانسحاب الفوري غير المشروط للقوات العراقية من الكويت، وان ايران مستعدة للدفاع عن مصالحها تحت اي ظرف⁽³⁶⁾ ويبدو ان ايران كانت تخشى من ان تتنازل الكويت عن جزيرة بويان للعراق وهذا ما عبر عنه الرئيس الايراني في خطبة الجمعة بطهران حيث قال: " لقد ابلغنا الكويت انها اذا سلمت جزيرة بويان الى العراق فسوف نحتل الجزيرة , وانهم لن يتمكنوا من استعادتها منا " ... وقال " ان ملف السلام بين ايران والعراق مختلف عن ملف احتلال القوات العراقية للكويت"⁽³⁷⁾.

ويبدو ان ايران اكتفت بالوقوف على الحياد على الرغم من ان حياد ايران ساهم في نجاح قوات التحالف، فان شعور دول الخليج العربية بالعرفان ازاء صنيع ايران كان فاترا نوعا ما⁽³⁸⁾.

وفي الوقت نفسه ،فان ايران لم توافق على الخطر الاقتصادي المفروض على العراق , واعلنت عدم موافقتها على تجويع الشعب العراقي وأبدت استعدادها لتزويده بالمواد الغذائية والبضائع عبر الحدود المشتركة للبلدين⁽³⁹⁾.

وفي الواقع، ان حصار العراق وتدمير اسلحته المخطورة شكل عامل اختلال في ميزان القوى لصالح ايران في المنطقة .وقد يعد هذا كسب كبير لصالح ايران على حساب الاقطار العربية⁽⁴⁰⁾.

وتشير التقارير الى ان العراق كان قد نقل معدات نووية وكميات من اليورانيوم عالي التخصيب الى ايران وذلك حينما قبلت ايران استضافة العشرات من الطائرات المدنية العراقية في مراحل لاحقه من الحرب بين العراق وقوات التحالف الدولي , وارتكزت هذه التقارير على ان الجانبين الايراني والعراقي ابرما صفقة متكاملة تقوم على قبول العراق اعادة العمل باتفاقية الجزائر لترسم الحدود بين الدولتين بما ينطوي عليه ذلك من تنازل العراق عن منطقة شط العرب المتنازع عليها مع ايران ،في مقابل قبول ايران عدم المشاركة في التحالف الدولي المضاد للعراق ثم موافقتها في فترة لاحقه على استضافة عشرات الطائرات العراقية واشارت تلك التقارير الى ان الجانبين الايراني والعراقي اتفقا سرا على نقل معدات نووية وكميات من اليورانيوم عالي التخصيب من العراق الى ايران , الا ان وزير الخارجية الايراني علي اكبر ولايتي نفى في شباط 1991 ان يكون العراق قد نقل الى ايران اي معدات نووية أو كميات من اليورانيوم عالي التخصيب اثناء حرب الخليج⁽⁴¹⁾.

وفي الواقع، فقد استفادت ايران من حرب الخليج الثانية ،ولاسيما من زيادة اسعار النفط التي وصلت الى 40 دولار للبرميل الواحد خلال الاسابيع التي تلت الاجتياح العراقي للكويت , كما استفادت ايران من وقف تصدير النفط العراقي والكويتي لتزيد من كمية تصدير نفطها فهي تكسب مايزيد على 500 مليون دولار في الشهر بسبب زيادة الاسعار والانتاج النفطي⁽⁴²⁾.

فضلا عن ذلك، فان ايران لم تتحمل شيئا من نفقات حرب الخليج الثانية والتي قدرت بعشرات البلايين من الدولارات كما انها لم تتعرض للدمار الذي تعرضت له كل من الكويت والعراق وبصورة اقل بعض دول الخليج الاخرى، يضاف الى ذلك الوعود الاقتصادية الامريكية الخليجية لايران⁽⁴³⁾.

ومن المشاكل الاخرى التي تعيق تطور العلاقات بين البلدين هي مشكلة التدخل الايراني في شمال العراق بحجة ملاحقة الاكراد الايرانيين من اعضاء الحزب الديمقراطي الكردستاني الايراني، والاكثر من ذلك الدعم العسكري اللوجستي الذي تقدمه ايران لحزب الاتحاد الوطني الكردستاني برئاسة جلال طالباني⁽⁴⁴⁾.

فضلاً عن ذلك، فقد كانت مشكلة (المعارضة) ، من المشاكل التي تؤدي الى زيادة التوتر بين العراق وايران، فقد كان يتهم الطرفان بعضهم البعض في تقديم الدعم لمعارضة الطرف الاخر. ففي الاعوام (1993-1999) قامت ايران بضرب مواقع المعارضة الايرانية في العراق، وهذا دليل على ان مشكلة المعارضة كانت تقف عائقاً امام تطور العلاقات بين البلدين، بل احياناً تخلق حالة من التوتر والاضطرابات بين البلدين⁽⁴⁵⁾.

وعلى الرغم من المشكلات التي كانت تعيق تطور العلاقات بين البلدين، الا ان ذلك لم يمنع زيارة المسؤولين لكلا البلدين، ولعل أهم الزيارات التي جرت بين مسؤولي البلدين هي زيارة وزير الخارجية السابق محمد سعيد الصحاف الى طهران عام 1998، وقد شهدت هذه الزيارة اتفاقاً على تطبيع العلاقات عبر تشكيل لجنتين تقومان بدراسة قضية اسرى الحرب والمفقودين وتبادل زيارة الاماكن الدينية المقدسة والتعاون التجاري⁽⁴⁶⁾.

كذلك قام وزير النقل والمواصلات العراقي بزيارة ايران في العام 2000 وتم التباحث في تلك الزيارة على تعزيز العلاقات التجارية والصناعية فضلاً عن التطرق لمسألة الطائرات العراقية المحتجزة لدى ايران. كما قام وزير خارجية ايران كمال خرازي بزيارة العراق في العام 2000 وهي الزيارة الاولى لوزير خارجية ايران، منذ الزيارة التي قام بها وزير خارجية ايران السابق علي اكبر ولايتي الى العراق عام 1990، وقد تم الاتفاق خلال زيارة كمال خرازي على احياء اللجان المشتركة التي شكلها البلدان في العام 1997 والمكلفة بتسوية المشكلات العالقة بينهما كما اتفق على تشكيل لجنة مشتركة للأمن الحدودي تتكلف بضبط الحالة الامنية على الحدود العراقية الايرانية واستئناف الرحلات البرية بعد توقف استمر ثلاثة اشهر.

والملف الامني وكذلك الاشارة الى ضرورة وقف الاذى المتبادل⁽⁴⁷⁾.

المبحث الثاني:- العلاقات العراقية - الايرانية بعد عام 2003 .

اولا-الموقف الايراني من الاحتلال الامريكي للعراق عام 2003 .

(48) للأطماع الأمريكية ومخططاتها في منطقة الخليج العربي .

(49) هذا الكيان الجديد .

نفسه، الاول مباشر وهو احتلال العراق والثاني غير مباشر وهو تهديد ايران⁽⁵⁰⁾.

وتتطور العمليات فإن إيران مارست دوراً حيادياً يعلي من ضبط النفس في مواجهة الاخطاء الامريكية البريطانية بأسقاط صواريخ أو مظليين أو اختراق طائرات للمجال الجوي الايراني واعلنت انها ضد الحرب الامريكية على العراق وطالبت بإثائها على الفور , بل ان الشارع

الايراني قرر الخروج في تظاهرات عارمة شملت طهران ومدناً إيرانية أخرى مندداً بالحرب ومطالباً بوقفها ومهاجماً السياسات الامريكية في المنطقة⁽⁵¹⁾.

وعلى الرغم من ان الاحتلال الامريكي كان يمثل تهديداً أمنياً مباشراً لإيران. جاء اعتراف الولايات المتحدة الامريكية بأهمية الدور السياسي الإيراني في العراق , من خلال تقرير لجنة^(*) دراسة العراق التي صدرت توصياتها اواخر العام 2006 والتي كان من ضمنها تلك التي تحمل التوجه المقترح لجهة التعاطي مع دول الجوار وتحديداً إيران ومنها⁽⁵²⁾.

أ-البند الخامس والذي اشار الى مجموعة الدول التي ينبغي للولايات المتحدة الامريكية ان تتشاور معها بشأن العراق وقد جاء فيه: " ينبغي ان تتشكل هذه المجموعة من العراق وكل دول جواره بما فيها إيران " .

ب-وما جاء في البند الثامن "ان على المجموعة الدولية اشراك إيران وسوريا في حوارها الدبلوماسي من دون شرط مسبق" . وترى مجموعة الدراسات حول العراق ان العلاقات الامريكية مع سوريا وإيران تشمل قضايا صعبة يجب ان تحل. ويجب ان تضع واشنطن في اعتبارها نظام الحوافز لاشراك سوريا وإيران .

ج- اما البند التاسع فجاء فيه يجب على الولايات المتحدة الامريكية ان تنخرط مباشرة مع إيران وسوريا في محاولة للحصول على التزام منها بسياسات بناءه تجاه العراق والقضايا الاقليمية الاخرى... وينبغي البحث في امكان تكرار التعاون الايراني- الامريكي في أفغانستان , لتطبيقه على الحالة العراقية .

وبالفعل فقد افسحت التطورات اللاحقة للاحتلال المجال امام دور سياسي ايراني، ولاسيما في مجال العملية السياسية , بدءاً بتشكيل مجلس الحكم الانتقالي, مروراً بانتخابات تأليف الجمعية الوطنية العراقية اول الامر, وقرار الدستور العراقي الجديد عبر استفتاء شعبي, وانتخاب اول برلمان على اساسها⁽⁵³⁾.

فأوراق إيران في المعادلة العراقية كثيرة ومتعددة , فهي على علاقة تاريخية مع جزء مهم من المؤسسة الدينية العراقية, وهي في الوقت نفسه ذات روابط مع العديد من الاحزاب

السياسية العراقية، وموازة المؤسسات الدينية والسياسية فأن الحضور الإيراني في العراق بعد عام 2003 يمكن تلمسه في طيف واسع من المؤسسات الاجتماعية والخدمية في الكثير من المدن العراقية⁽⁵⁴⁾.

ثانياً: العلاقات العراقية - الإيرانية بعد الاحتلال الأمريكي

1- العلاقات العراقية - الإيرانية في عهد حكومة أبراهيم الجعفري 2005

شكلت مرحلة ما بعد عام 2003 بداية تعزيز العلاقات بين البلدين ، فقد كانت إيران من أوائل الدول المجاورة للعراق التي سارعت الى تأييد العملية السياسية في العراق ، بدءاً من مجلس الحكم الانتقالي ، الى الانتخابات التي جرت في 30 كانون الثاني عام 2005 ، وتشكيل حكومة أبراهيم الجعفري⁽⁵⁵⁾ .

فعلى اثرها اعلن كل من إيران والعراق عزمهما على طي صفحة الماضي والبدء بمرحلة جديدة مبنية على الاحترام والتعاون وعدم التدخل في الشؤون الداخلية⁽⁵⁶⁾ . وهذا ما عبر عنه ايضاً وزير الخارجية العراقي هوشيار زيباري في 17 ايار عام 2005 لدى استقباله في بغداد وزير الخارجية الإيراني السابق كمال خروزي حيث اكد قائلاً: " ان عراق اليوم عراق متسامح مع جيرانه ويعيد كل البعد عن نهج العدوان والاستعلاء وعلينا اليوم ان نطوي صفحاتنا ونعمل من أجل بناء علاقات على اساس الاحترام وعدم التدخل في الشؤون الداخلية " .

ودعا زيباري إيران وكل دول الجوار الى مساعدة العراق لتجاوز هذه المرحلة من خلال منع عمليات التسلل وكل ما من شأنه الاضرار بالعلاقات . وفي المقابل اكد خروزي دعم إيران لحكومة وشعب العراق حيث ذكر قائلاً: " ان إيران على استعداد كامل للتعاون مع العراق في شتى المجالات الامنية والاقتصادية وكل المجالات ذات الاهتمام المشترك "⁽⁵⁷⁾ .

سارت العلاقات بين البلدين الى مستوى متقدم في ظل تلك الحكومة (حكومة أبراهيم الجعفري) ففي تطور مشهود للعلاقات الثنائية بين البلدين لم يحدث منذ اربعين عاماً زار وفد عسكري عراقي كبير برئاسة وزير الدفاع سعدون الدليمي طهران ، وقدم الوفد اعتذاره لإيران

حكومة وشعبا عن ما وصفه جرائم صدام حسين بحق ايران، وتكملت هذه الزيارة بتوقيع اتفاق للتعاون العسكري في مجال الدفاع ومحاربة الارهاب⁽⁵⁸⁾.

كما قام ابراهيم الجعفري في تموز 2005 بزيارة لايران بهدف توثيق العلاقات بين البلدين وقد تمخض عن تلك الزيارة توقيع اتفاقية تعاون أمني مشترك بموجبه شكل البلدين لجان مشتركة في التنسيق الأمني وضبط الحدود والمساعدة في إعادة تأهيل الجيش العراقي واستمر الخط البياني للعلاقات الايرانية- العراقية في تصاعد حسن بعد خروج الجعفري من الحكومة⁽⁵⁹⁾.

2- العلاقات العراقية - الايرانية في عهد حكومة نوري المالكي

شهدت العلاقات العراقية - الايرانية في عهد رئيس الوزراء السابق نوري المالكي تحسناً ملحوظ ولا سيما ان ايران كانت تصف تلك الحكومة بأنها منيئته عن (اصوات الشعب العراقي) ولم تتوانى عن دعمها عملياً وهو ماورد في تصريحات للمرشد الاعلى خامنئي والرئيس الايراني أحمد نجاد ووزير خارجيته منوشهر متقي⁽⁶⁰⁾.

ومما يدل على عمق العلاقات قيام الرئيس الايراني أحمد نجاد باستقبال رئيس الوزراء العراقي السابق نوري المالكي في اب 2007 , حيث أكد الرئيس الايراني أثناء استقبله لرئيس الوزراء العراقي قائلاً " ان بلاده مستعدة لاحلال الأمن كاملاً في العراق . لان أمن العراق هدفاً لأمن ايران ", وقد رد المالكي عن ذلك بقوله " انه لا توجد حواجز تعترض طريق التعاون بين البلدين "⁽⁶¹⁾.

وبالفعل فقد فتحت زيارة المالكي آفاق التعاون بين البلدين فعند زيارة الرئيس الايراني أحمد نجاد العراق في اب 2008 تم توقيع عشرة اتفاقات ثنائية بهدف تعزيز الروابط الاقتصادية والتجارية وشملت تلك الاتفاقات النقل في مجال السكك الحديدية والشحن والنقل البحري ... الخ⁽⁶²⁾.

ويبدو ان الرئيس الايراني اراد بهذه الزيارة ان يعمل على توطيد علاقة بلاده بالعراق , والتأكيد على الدور الاقليمي الايراني المتصاعد في المنطقة ،ولاسيما في العراق الى جانب تعزيز نفوذ ايران في منطقة الشرق الاوسط ⁽⁶³⁾.

كما ارادت ايران من زيارتها ابلاغ واشنطن رسالة محتواها ان محاولاتها لعزل ايران لن تؤتي ثمارها , وان فشل سياسة امريكا في المنطقة ساعد ايران في مهمتها , وان الدول العربية اصبحت مدركة انها لا تستطيع الاعتماد على امريكا لوقف طموحات ايران في المنطقة ، وبالتالي يصبح البديل الوحيد امامهم هو بدء حوار معها خاصة مع تعاطف الشارع العربي مع توجهات ايران المعادية لأمريكا واسرائيل ⁽⁶⁴⁾.

شهد العراق في العام 2008 مجموعة من التطورات كان أهمها توقيع الاتفاقية الثنائية بين العراق والولايات المتحدة الامريكية في 17 تشرين الثاني 2008 , والتي شكلت هاجساً لدى ايران , فقد اعتبرت مضمونها وخصوصاً لجهة القواعد العسكرية الثابتة , بمثابة تكريس لأول انتداب عسكري في القرن الحادي والعشرين , وهي برأيها سمحت بأن ((تحتفظ الولايات المتحدة بحق الدفاع عن نفسها , وهذا الحق يتناقض مع ميثاق الامم المتحدة حيث لا تملك اي دولة في العالم حق الدفاع عن نفسها وهي داخل اراضي دولة ثانية. فهذا الحق , اي الدفاع عن النفس سيصبح مبرراً - كما كان حتى الآن - كي تخرق حقوق العراقيين وتعبث بجرماتها تحت غطاء الدفاع عن النفس)) ⁽⁶⁵⁾.

وفي الواقع لقد مر الموقف الايراني من الاتفاقية الأمنية بمرحلتين اساسيتين ⁽⁶⁶⁾: هما الرفض والتكيف .

ففي المرحلة الاولى ادلى مسؤولي الجمهورية الايرانية الاسلامية بدلوهم في معرض هجومهم الشديد على الاتفاقية , فهناك من وصفها بانها تساند الولايات المتحدة الامريكية على (نخب) العراق . كما جاء على (لسان الرئيس السابق احمد نجاد) وتؤدي الى (ضياع السيادة العراقية واذلال العراقيين) مايجعلها (محرمه شرعاً) كما جاء على لسان (اية الله كاظم الحائري) ، وتنطوي على (استسلام وتعزيز الهيمنة الامريكية الشاملة في العراق) كما جاء على

لسان (علي لاريجاني، رئيس مجلس الشورى). وتعرض أمن الشعب العراقي والأخوين للخطر كما جاء على لسان (هاشمي رفسنجاني) رئيس مجمع تشخيص مصلحة النظام. وفي المرحلة الثانية اختلف الخطاب الرسمي الايراني ، وبدأ يتكيف مع تلك الاتفاقية ، كما جاء في تصريحات بعض المسؤولين وهي "نأمل ان تكون لهذه الاتفاقية نتائج ايجابية". اية الله احمد جنتي الناطق باسم مجمع تشخيص مصلحة النظام، "لو عملت الولايات المتحدة الامريكية بالتزاماتها بشأن اخراج العراق من الفصل السابع لميثاق الامم المتحدة فبالإمكان اعتبار الاتفاقية الأمنية المبرمة بين البلدين اتفاقية مؤثرة -علي لاريجاني- ونأمل ان "تراعي الاتفاقية مصالح العراق والعراقيين "حسن قشقايي ، الناطق الرسمي باسم الخارجية الايراني⁽⁶⁷⁾ .

وفي تفسير للتبديل الذي حصل في الموقف الايراني من الرفض الى التكيف حول الاتفاقية الأمنية ، ربما كانت الواقعية الايرانية وادراك الجمهورية الاسلامية حدود قدرتها على الفعل والتأثير ، أو ربما هناك صفقة مزدوجة مع ادارة اوباما كدليل على حسن النوايا من جهة ومع الحكومة العراقية بتوقيع اتفاق لغلق معسكرات (مجاهدي خلق) من جهة أخرى⁽⁶⁸⁾ .

عاجلت حكومة نوري المالكي العديد من الملفات العالقة بين البلدين ابرزها مسألة الطائرات العراقية الموجودة في ايران اذ تمكنت الحكومة في العام 2010 من الحصول على اعتراف ايران بوجود الطائرات العراقية لديه وتوقيع وثيقة رسمية تتضمن أحقية العراق بها⁽⁶⁹⁾ .

فضلاً عن معالجة ملف الاسرى والمفقودين العراقيين حيث قامت الحكومة العراقية بتسليم الجانب الايراني في العام 2012 رفات (201) شخص تعود لعسكريين ايرانيين فيما تسلم العراق رفات (53) شخص تعود لعراقيين توفوا خلال الحرب بين البلدين⁽⁷⁰⁾ .

الى جانب توثيق العلاقات السياسية بين البلدين فقد توثقت العلاقات الاقتصادية حتى وصل حجم التبادل التجاري بين البلدين في العام 2012 (6) مليارات و 249 مليون دولار⁽⁷¹⁾ . كما وقع البلدين في 11 تموز 2013 اتفاقية لتصدير الغاز الايراني الى العراق

،اي سيتم بموجب تلك الاتفاقية تصدير خمسة وعشرون مليون متر مكعب من الغاز الى العراق يوميا⁽⁷²⁾ .

هذا ولا ننسى تطور العلاقات الدينية بين البلدين ففي 26 تموز 2013 اعلنت وزارة السياحة والاثار العراقية عن توقيع جملة من الاتفاقيات مع الحكومة الايرانية بخصوص السياحة الدينية ، حتى تراوح عدد الزائرين الايرانيين الى العراق في العام 2013 ما بين 850,000 الف الى مليون زائر ايراني⁽⁷³⁾ .

الخاتمة

يتضح من خلال تتبع العلاقات العراقية - الايرانية مدى عمق العلاقات التي ربطت كلا البلدين بعد عام 2003 فقد سعت ايران الى ان يصبح لها دور فاعل في الساحة السياسية العراقية ، وكانت من اوائل الدول المجاورة للعراق التي سارعت الى تأييد العملية السياسية في العراق ، بدءاً من مجلس الحكم الانتقالي ، الى الانتخابات التي جرت في 30 كانون الثاني عام 2005 ، وتشكيل حكومة ابراهيم الجعفري التي ارتقت من خلالها العلاقات بين البلدين ووصلت الى مستوى متقدم في ظل تلك الحكومة سواء من خلال الزيارات المتبادلة لمسؤولي البلدين أو عبر عقد الاتفاقيات ومنها اتفاقية التعاون الامني المشترك. كما لاحظنا ان تلك العلاقات أخذت بالتطور في عهد رئيس الوزراء العراق السابق نوري المالكي ، الذي فتحت زيارته لايران افاق التعاون حيث تمكن من عقد عشرة اتفاقيات ثنائية بهدف تعزيز الروابط الاقتصادية والتجارية وشملت تلك الاتفاقيات النقل في مجال السكك الحديدية والشحن والنقل البحري.

كما كانت للمشاركات العقائدية والمذهبية لكلا البلدين دورها في توثيق العلاقات بين البلدين، وذلك من خلال ارسال الزوار الايرانيين لزيارة العتبات المقدسة وبالعكس ارسال الزوار العراقيين لزيارة العتبات المقدسة في ايران ، فضلاً عن العلاقات الوثيقة التي ربطت المراجع الدينية في كلا البلدين .

Iraqi-Iranian Relations After 2003

Abstract:

المصادر

- 49

- (*) شرعت إيران بإنشاء السد سنة 1960 والذي سمي بمشروع (غلام شاه) سعت من خلاله الى حفر مجرى جديد لتحويل مياه النهر عن الدخول الى العراق . للمزيد ينظر سعيد خديدة علو , العلاقات العراقية - الايرانية واثرها على القضية الكردية 14 تموز 1958 . 8 شباط 1963 , عمان - الاردن , دار دجلة , 2007 , ص131.
- 8- سعيد خديدة علو , مصدر سابق , ص132 .
- 9- جاريث ستانسفيلد , العراق : الشعب والتاريخ والسياسة , ابو ظبي , مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجيه , 2009, ص.112
- 10- بديع محمد وآخرون , العلاقات العربية - الايرانية, مصدر سابق, ص.120
- 11- سعد الانصاري, العلاقات العراقية-الايرانية خلال خمسة قرون , بيروت-لبنان, 1987, ص.411.
- 12- جاريث ستانسفيلد , المصدر نفسه , ص.112
- 13- بديع محمد وآخرون , العلاقات العربية - الايرانية, مصدر سابق, ص.120
- 14- ضاري سرحان الحمداني , مصدر سابق , ص 140 - 141
- 15- نشوان علاء حسين , السياسة الخارجية الايرانية تجاه الخليج العربي منذ عام 2002 و افاق المستقبل , رسالة ماجستير غير منشورة , كلية العلوم السياسية , جامعة النهرين , 2013 , ص 195.
- (*) أعلنت وزارة التخطيط والتعاون الانمائي, ان عدد سكان العراق لعام 2016 بلغ 36 مليون نسمة, للمزيد ينظرويكبيديا, الموسوعة الحرة, نقلا عن شبكة الانترنت الموقع: <https://ar.wikipedia.org>
- 16- ساجد شوقي , الدور الايراني في الشرق الاوسط بعد الحرب الامريكية على الارهاب , مجلة دراسات ايرانية , مركز الدراسات الايرانية المجلد الخامس , 8 - 9 كانون الاول 2008 , ص24; وزير النفط : احتياطات العراق من الخام تزيد الى 153 مليار برميل, للمزيد ينظر جريدة الرؤية العمانية, نقلا عن الموقع: www.alroya.com
- 17- المصدر نفسه , ص24.
- 18- المصدر نفسه , ص24.
- 19- نشوان علاء حسين , المصدر السابق , ص196.
- 20- المصدر نفسه , ص197.
- 21- المصدر نفسه, ص197.
- 22- المصدر نفسه, ص197.
- 23- نشوان علاء حسين , مصدر سابق , ص21.
- 24- المصدر نفسه, ص21-22.
- 25- المصدر نفسه , ص22.
- 26- جاريث ستانسفيلد , مصدر سابق , ص119.
- 27- انطوني , هكوردسات , الحرب الايرانية-العراقية والامن العربي في الاعوام 1984-1987: المضامين الاستراتيجية والخيارات السياسية , ترجمة نافع ايوب, دمشق, مركز الدراسات العسكرية, 1991, ص49.
- 28- نيفين عبد المنعم مسعد , صنع القرار في ايران والعلاقات العربية - الايرانية , بيروت, مركز دراسات الوحدة العربية , 2001 , ص212.
- 29- منعم صاحي العمار , اتفاقية الجزائر 1975 والشراكة الاستراتيجية بين العراق والولايات المتحدة الامريكية قراءة في حتميات التلازم والتغيير , مجلة قضايا سياسية , جامعة النهرين , كلية العلوم السياسية , المجلد الثالث , العدد السابع عشر , 2009, ص11.
- 30- جاريث ستانسفيلد , مصدر سابق, ص119.
- 31- نيفين عبد المنعم مسعد , مصدر سابق , ص214-215.

- (*) بعد القطيعة بين الولايات المتحدة الأمريكية وإيران ، قدمت الولايات المتحدة اسلحة لايرون في بعض مفاصل هذه الحرب بعيدا عن الاعلام ففي اب 1985 وصلت اول شحنة اسلحة امريكية الى ايران ، للمزيد ينظر ميثاق خير الله ، موقف الولايات المتحدة الأمريكية من البرنامج النووي الايراني 2002-2010، جامعة الموصل، مركز الدراسات الاقليمية، سلسلة شؤون اقليمية، العدد 41، 2012، ص. 295
- 32-المصدر نفسه ، ص 215-216.
- 33-نشوان علاء حسين ، مصدر سابق، ص 23.
- 34-نيفين عبد المنعم مسعد ، مصدر سابق، ص 216.
- 35-احمد ابراهيم محمود ، البرنامج النووي الايراني : افاق الازمة بين التسوية الصعبة ومخاطر التصعيد ، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، 2005 ، ص 56-57.
- 36-ضاري سرحان الحمداني ، مصدر سابق، ص 143.
- 37-ضيف الله الضعيفان ، ايران الراح الاكبر من ازمة الخليج، نقلا عن شبكة الانترنت الموقع : www.albainah.net
- 38-شعيرين هنتر، ايران بين الخليج العربي وحوض بحر قزوين: الانعكاسات الاستراتيجية والاقتصادية ، ابو ظبي ، مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2001، ص. 41
- 39-ضاري سرحان الحمداني ، مصدر سابق، ص 143.
- 40-المصدر نفسه ، ص. 143
- 41-احمد ابراهيم محمود، مصدر سابق، ص 59-60.
- 42-ضيف الله الضعيفان ، المصدر السابق، ص 6.
- 43-المصدر نفسه ، ص 6.
- 44-ضاري سرحان الحمداني ، مصدر سابق، ص 144.
- 45-المصدر نفسه ، ص 145.
- 46-المصدر نفسه ، ص 146.
- 47-المصدر نفسه ، ص 146.
- 48-ستار الجابري ، العلاقات العراقية -الايرانية ، مجلة دراسات سياسية ، بغداد، بيت الحكمة العدد 16 ، 2010، ص 76.
- 49-نعم نذير ، التوجهات الخارجية الايرانية تجاه المنطقة العربية : الموقف الايراني من الحرب على العراق دراسه تطبيقية ، مجلة دراسات سياسية ، بغداد، بيت الحكمة، العدد 13 ، 2008 ، ص 91-92.
- 50-مهدي نور الدين ، الحصار المتبادل : العلاقات الايرانية - الامريكية بعد احتلال العراق ، بيروت ، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي ، 2012 ، ص 84.
- 51-نعم نذير ، مصدر سابق، ص 91 ؛ ميثاق خير الله جلود ، المصدر السابق ، ص 295.
- (*) شكل الكونغرس الامريكي في اعقاب فشل خطة النصر-كان الرئيس الامريكي جورج بوش قد اعلن عنها في 12 كانون الاول 2005 - لجنة برئاسة ثمانية لممثلين عن الحزبين الديمقراطي والجمهوري، هما جيمس بيكر وزير خارجية اسبق ولي هاملتون، وجرى تكليفها بمهمة القيام بدراسة الوضع العراقي، وتقديم الاقتراحات بصفة استشارية وقد عرفت باسم لجنة دراسة العراق، للمزيد ينظر مهدي نور الدين، مصدر سابق، ص 95.
- 52-مهدي نور الدين ، مصدر نفسه، ص 95-97.
- 53-مهدي نور الدين ، مصدر نفسه، ص 94-95.
- 54-ستار الجابري ، مصدر سابق، ص 77.
- 55-طلال عترسي ، جيواستراتيجية الحضبة الايرانية: اشكاليات وبدائل، بيروت، مركز الحضارة لتنمية الفكر الاسلامي، 2009، ص 152.

- 52